﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [هود: 18 - 19]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبْلَهما:

مَن نَسَبَ الفِريةَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ هو المُفتري على اللهِ تعالى

لمّا كانَ الكافرونَ قد كَذَبوا على اللّه بما أحدَثوهُ مِنَ الدّينِ مِن غيرِ دليلٍ، وما نَسبوا إليهِ النّبيَّ ﷺ مِنَ الافتراءِ، أتبع البيان الإلهي هاتين الآيتين، فذَكَرَ أنَّهُم هُمُ المفترونَ على اللّه، فَذَكَرهُم وذَكَرَ أوصافَهُم[1].

ولمّا انقضَى الكلامُ مِن إبطالِ زَعمِهم أنَّ النَّبيَّ ﷺ افتَرَى القرآنَ ونَسَبَهُ إلى اللّه، وتَعجيزُهُم عَن بُرهانٍ لِما زَعَموهُ، كَرَّ عليهِم، فَوَضَّحَ أنَّهُمُ المُفتَرونَ على اللّه عِدَّةَ أكاذيبَ، مِنها نَفيُهُم أنْ يكونَ القرآنُ مُنَزَّلًا مِن عِندِهِ، وذَكَرَ أنَّهُم مع افترائِهِم كانُوا يَصدّونَ عن سبيلِ اللّه، ويَبغونَها عِوجًا[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُعْرَضُونَ﴾: يدورُ المعنى المحوريُّ للكلمةِ على اتّساعِ ما يواجهُ النّاظرَ مِنَ الشّيءِ الكثيفِ، وأصلُ الكلمةِ يرجعُ إلى العَرضِ الَّذي يُخالِفُ الطّولَ، وعُرْضُ الشّيءِ: ناحيتُهُ مِن أيِّ وجهٍ جئتَهُ، ووسَطُه، وعرضُ الشَّيءِ: بمعنى إمرارِهِ أمامَ النّظرِ أو إتاحتِهِ بقصدِ أن يُنظَرَ إليهِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/254.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/32.

2) ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: جمعُ شاهدٍ، مثلُ: أصحابٍ جمعُ صاحبٍ، أو جمعُ شهيدٍ مثلُ: شريفٍ وأشرافٍ، وهُمُ الملائكةُ والأنبياءُ الّذين شَهِدُوهُم، وحفظوا عليهِم ما كانوا يَعملونَ، وقِيلَ: الملائكةُ والأنبياءُ والمؤمنون جميعًا[1].

3) ﴿لَعْنَةُ﴾: اللّعنُ يدلُّ على إبعَادٍ وإطْرَادٍ على سبيلِ السَّخطِ، واللَّعنَةُ على وزنِ الفَعلَةُ، ولَعَنَ اللّه الشَّيطانَ: أبعدَهُ عَنِ الخيرِ والجنَّةِ، ولَعَنَهُ اللّه بمعنى: أقصاهُ وأبعدَهُ مِن رحمتِهِ وتوفيقِهِ في الدّنيا، واستحقاق العذابِ في الآخرةِ، ويُعبَّرُ به عن شدَّةِ الغضبِ والسّخطِ[2].

4) ﴿يَصُدُّونَ﴾: يدورُ معنى الصَّدِّ على اعتراضٍ بقَوِيٍّ أو كثيفٍ يَرُدُّ المُقبلَ أو يمنعُهُ كالجبلِ، وصَدَّهُ عنِ الأمرِ: مَنَعَهُ وصَرَفَهُ، وتصدَّى لفلانٍ: تعرّضَ له، ففيه معنى الاعتراضِ والصَّرفِ والرَّدِّ، ولمّا كانَ الفعلُ يحتملُ التّعدّيَ واللّزومَ، فالصَّدُّ والصّدودُ قد يكونُ صرفًا ومنعًا إذا كانَ الفعلُ مُتعدِّيًا، بمعنى: يَصدّونَ غيرَهُم، وقد يكونُ انصرافًا عنِ الشّيءِ، وإعراضًا عنه، وامتناعًا، إذا كانَ الفعلُ لازمًا غيرَ مُتعدٍّ، ويتبيّنُ ذلكَ بالمصدرِ، ففي الإعراضِ بنفسِهِ يُقالُ: صدَّ يصُدُّ صُدُودًا؛ كقولِهِ تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: 61]، وفي صرفِ غيرِهِ يُقالُ: صدَّ يصُدُّ صدًّا[3].

5) ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: بَغَى الشّيءَ يبغيه: طلبَهُ على سبيلِ التّزايدِ في الطّلبِ والمبالغةِ فيه، ومنهُ بَغيُ المطرِ، وهو شدَّتُهُ ومُعظمُهُ، وبَغَى عليهم: عَدَلَ عنِ الحقِّ واستطالَ وظلمَ، ففيه معنى التّزيُّدِ في التّعدِّي، وكلُّ مجاوزةٍ وإفراطٍ على المقدارِ الّذي هو حدُّ الشّيءِ يُقالُ لهُ: بغيٌ، والبغيُ هنا على معنى تجاوزِ الحقِّ إلى الباطلِ[4].

6) ﴿عِوَجًا﴾: أصلُ الكلمةِ يدُلُّ على عطفٍ عن حالِ الانتِصابِ، والعَوَجُ هو ميلٌ في شيءٍ مُمتدٍّ كالميلِ في الحائطِ، والعَوَجُ يُقالُ في المحسوساتِ كاعوجاجِ الحائطِ والعودِ والعصا، وفي المعاني كاعوجاجٍ في الدّينِ والمَعَاشِ، والأعوَجُ يُكنَّى به عن سَيِّئِ الخُلُقِ، وسائرُ ما جاءَ من تركيبِ ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: 99] في القرآنِ للخطابِ أو الغيبةِ؛

(1) الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/44، والواحديّ، التّفسير البسيط: 11/379.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (لعن)، وابن جرير، جامع البيان: 3/245، والماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 6/113.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (صد)، والرّاغب، المفردات: (صدد)، والماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 6/113.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (بغي)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بغو - بغى).

بمعنى: يطلبونَ لسبيلِ اللّه اعوجاجًا عنِ الاستقامةِ، وانحِرافًا لها بإيهامِ النّاسِ ذلكَ[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ولا أحدَ أظلمُ ممَّنِ اختلقَ على اللّه كذبًا، فأولئكَ الكاذبونَ سيُعرَضونَ على ربِّهم يومَ القيامةِ؛ لِيحاسبَهُم على أعمالِهم، ويقولُ الأشهادُ مِنَ الملائكةِ والنّبيّينَ وغيرِهم: هؤلاء الّذين كَذَبوا في الدّنيا على ربِّهم قد غَضِبَ اللّه عليهِم، ولَعَنَهُم لعنةً لا تنقطعُ بسببِ ظلمِهم وكذبِهم[2].

لا أحـدَّ أشـدُّ ظـلـمًـا مـمَّـن كذَبوا على الله، وسيحاسبُهُمُ اللهُ على رؤوسِ الأشـهـادِ يـومَ القيامةِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الاستفهامِ بيَن الإنكارِ والتّقريرِ:

يحتملُ الاستفهامُ أن يكونَ إنكاريًّا بمعنى إنكارِ ظلمِهم؛ لأنّهُم كانوا أظلمَ النّاسِ، فيفيدُ تَهويلَ ظُلمِ مَنِ افتَرَى على اللّه كَذِبًا، ويحتملُ أن يكونَ استفهامًا تقريريًّا؛ بمعنى تقريرِ أنَّهُم أظلمُ النّاسِ لافترائِهِمُ الكذبَ على اللّه، وجاءَ الإنكارُ أو التّقريرُ بطريقِ الاستفهامِ حتّى يجيبَ المُخاطَب، ويقولَ: لا أحدَ أظلمُ منه، فيكونُ ظهورُ الحجّةِ عليه أوضحَ وأبينَ[3].

الافتِراءُ على اللَّهِ تـعـالى أعـظَـمُ أنـواعِ الـظُّـلـمِ، وأشدُّها عقوبةً

دلالةُ الاسمِ الموصولِ في: ﴿مِمَّنِ﴾:

أفادَ الاسمُ الموصولُ العمومَ، بمعنى تناولِهِ لكلِّ مَنِ افترى على اللّه الكذبَ، وعُبِّرَ بـ ﴿مِمَّنِ﴾ دونَ (الّذي)؛ لأنَّ ﴿مِمَّنِ﴾ أكثرُ عمومًا لِمناسبةِ المَقامِ، وللإشعارِ بأنَّ مَن له أدنى عقلٍ لا يفتري على اللّه الّذي هو خالقُهُ.

مَـن لـه أدنى عـقـلٍ لا يفتري على اللهِ، واللهُ يـعـلـمُ مـا في الصّدور

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (عوج)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عوج - عيج).

(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 4/168، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 123.

(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/159.

بلاغةُ التّعبيرِ باسمِ التّفضيلِ ﴿أَظْلَمُ﴾:

لمّا نَسَبوا القرآنَ إلى غيرِ مَن أنزَلَهُ، وزَعَموا أنَّ الرَّسولَ ﷺ افتَراهُ، كانوا بالِغينَ غايةَ الظُّلمِ وأشدَّهُ في الافتراءِ على اللّه، حتَّى لَقَد يُسألُ عَن وُجودِ فريقٍ أظلَمَ مِنهُم سُؤالَ إنكارٍ أو تقريرٍ يؤولُ إلى معنى النَّفي؛ أي: لا أحدَ أظلَمُ على نفسِهِ ممّنِ افترى على اللّه الكذبَ، فهو أظلمُ مِن غيرِهِ؛ لأنَّه نفى عنِ اللّه كلامَهُ، وأضافَهُ إلى غيرِهِ؛ والمعنى: لا أحدَ أفحشُ ظلمًا على نفسِهِ مِن غيرِهِ ممّنِ افترى على اللّه الكذبَ[1].

لا أحدَ أظلَمُ ممّنِ افترى على اللهِ كذبًا، أو نَسَبَ الوحيَ إلى غيرِ اللهِ

دلالةُ تركيبِ جملةِ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾:

هذا التّركيبُ المُركَّبُ مِن اسمِ الاستفهامِ الإنكاريِّ مع اسمِ التّفضيلِ، وإنْ كانَ سبكُهُ على إنكارِ أن يكونَ أحدٌ أظلمَ منهُم مِن غيرِ تعرُّضٍ لإنكارِ المساواةِ ونَفيِها، ولكنّ المقصودَ بهِ قَصدًا مُطَّردًا إنكارُ المساواةِ ونفيُها، وإفادةُ أنَّهُم أظلمُ مِنْ كُلِّ ظالمٍ[2].

مَن يختلق على اللهِ الكذبَ، فلا يساويه أحدٌ في ظلمِهِ وجرأتِهِ

بلاغةُ التّعريضِ في الآيةِ:

قولُهُ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، أفادَ الاستفهامُ الإنكاريُّ التّعريضَ بأنَّهُم هُمُ الكاذبونَ إبطالًا لِتَكذيبِهِم إنزالَ الكتابِ[3]، فإذا كانوا كاذبينَ دلَّ على صدقِ القرآنِ في أنَّه حقٌّ مِن عندِ اللّه، كما أنَّ فيه ردًّا عليهِم، حينَ نسبوا الافتراءَ إلى رسولِ اللّه ﷺ.

إثباتُ حقّيّةِ القرآنِ بطريقِ الحجّةِ العقليّةِ

فائدةُ تنكيرِ ﴿كَذِبًا﴾:

أفادَ تنكيرُ لفظِ ﴿كَذِبًا﴾ العمومَ؛ لورودِهِ في سياقِ النّفي، فلَم يقُلْ: (ومَن أظلمُ ممّنِ افترى على اللّه الكذبَ)؛ ليتناولَ الاسمُ النّكرةُ قليلَ الكذبِ وكثيرَهُ، ويشملَ جميعَ أنواعِهِ، فيدخل فيهِ كلُّ ما

قليلُ الكذبِ على اللهِ تعالى وكثيرُهُ سواءٌ في عِظَمِ الافتراءِ وقُبحِهِ

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 6/11.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/196.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/374.

يُسمَّى كذبًا، فكانَ قليلُ الكذبِ على اللّه تعالى وكثيرُهُ سواءً في عظمِ الذّنبِ، وأنّه أشدُّ ظلمًا وقبحًا مِن غيرِهِ.

بلاغةُ الاستئنافِ البيانِّي:

لمّا قالَ اللّه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، وعَلِمَ السّامعُ أنَّ فاعِلَ هذا أظلمُ النّاسِ، تَطلَّبَ بيانَ جَزاءِ المُفتَرِي على اللّه الكذبَ، فكأنَّ السّامِعَ في مَقامِ السّائلِ عن جزائِهِ يومَ القيامةِ، فجاءَتِ الجملةُ في قولِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ استئنافًا بيانيًّا؛ استدرارًا لأسماعِ المُخاطَبينَ فيما عَظُمَ جزاؤُهُ يومَ القيامةِ، ولِتشويقِهِم، ولإغنائِهِم عنِ السّؤالِ.

استدرارُ الأسماعِ فيما عَظُمَ شأنُ جزائِهِ يومَ القيامةِ

بلاغةُ مجيءِ اسمِ الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

تَصديرُ الجملةِ الاستئنافيّةِ باسمِ الإشارةِ للتّنبيهِ على استحضارِ وصفِهِمُ القبيحِ، أي: الموصوفون بالظّلمِ البالغِ الّذي لا يوجدُ أظلمُ منه، وللإشعارِ بأنَّهُم استحقّوا أن يحكمَ عليهِم بما بَعدَ اسمِ الإشارةِ بسببِ افترائِهِم على اللّه الّذي هو أعظمُ الافتراءِ، ولمّا آذنَ اسمُ الإشارةِ أنَّ ما قبلَهُ علّةٌ لِما بعدَهُ، عُلِمَ أنَّ عَرضَهُم على ربِّهِم، عَرضُ زَجرٍ وانتقامٍ وذلّةٍ ومهانةٍ[1].

عَرضُ المفترينَ على ربِّهِم يومَ القيامةِ، هو عَرضُ ذلّةٍ ومهانةٍ

نكتةُ التّعبيرِ بـ ﴿يُعْرَضُونَ﴾:

لمّا كانَ اللّه تعالى عالمًا بالمفترينَ وبأعمالِهِم، وكانَ العرضُ يومَ القيامةِ لكلِّ النّاسِ كانَ تخصيصُ عرضِهِم لِلتّشهيرِ بخزيِهِم، ولتأكيدِ حالِهِم بالانتقامِ منهُم، فشبّهَ حالَهُم بحالِ مَن يُعرَضون على المَلِكِ؛ للإشعارِ بأنَّ إحضارَهُم إحضارٌ بإراءةٍ؛ لِما يدُلُّ عليه العرضُ مِن أنَّه إظهارُ الشّيءِ بحيث يُرى للتّوقيفِ على حالةٍ، ولِما تدُلُّ عليه تعديةُ الفعلِ بحرفِ ﴿عَلَىٰ﴾؛ ليكونَ العرضُ المُضمَّنُ

عَرضُ المفترينَ على ربِّهِم؛ ليكونُوا أكثرَ حسرةً وندامةً

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/33.

معنى الحبسِ والإراءةِ وعرضِ الأعمالِ أكثرَ حسرةً عليهم، وأظهرَ لكذبِهم وافترائِهم[1].

سببُ إيثارِ العرضِ للذّواتِ في: ﴿يُعْرَضُونَ﴾:

لمّا تقرّرَ أنَّ العرضَ يكونُ للأعمالِ، كان إيثارُ أن يكونَ العرضُ بذواتِهم للأبلغيَّةِ، فإنَّ عرضَ العاملِ بعملِهِ أفظعُ من عرضِ عملِهِ مع غَيبتِهِ، كما أنَّه بإيرادِ اسمِ الإشارةِ حَصلَتِ الغُنيَةُ عن إسنادِ العرضِ إلى أعمالِهم، ويحتملُ أن يكونَ مِنَ المجازِ في النِّسبةِ؛ لأنَّ العرضَ في الحقيقةِ إلى الأعمالِ لا إلى الذّواتِ، كما يحتملُ أن يكونَ كنايةً عن عرضِ الأعمالِ[2].

عـرضُ العـاملِ مع عملِهِ أفظعُ مِن عرضِ عملِهِ مع غَيبتِهِ

نكتةُ إيرادِ لفظِ الرّبِّ في: ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾:

عَبَّرَ هنا بقولِهِ: ﴿رَبِّهِمْ﴾ دونَ أن يقولَ: (على اللّه)؛ للإيماءِ إلى بطلانِ رأيِهِم في اتّخاذِهِم أربابًا مِن دونِ اللّه ﷻ[3]، وللتّعريضِ بتوبيخِهِم على افترائِهِم على اللّه تعالى مع أنَّه مُتفضِّلٌ عليهم بتربيتِهِم وإصلاحِ حالِهِم، فقد قابلوا نعمَهُ بالافتراءِ عليهِ سبحانَه.

مِن أقبحِ الظّلمِ مقابلةُ نعمِ اللهِ بـالافـتراءِ عليه ﷻ

فائدةُ العطفِ في: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾:

قولُهُ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، وفيه فائدةُ إخبارِ الأشهادِ بما اللّه يعلمُهُ، وتعظيمُ الأمرِ على المشهودِ عليهِم، وحسمُ طمعِهِم مِن أنْ يجدوا سبيلًا إلى التَّخلُّصِ ممّا هُم فيهِ بالجحدِ أو بالمُدافَعةِ، كما أنَّ فيه توبيخًا آخرَ لَهُم غيرَ التّوبيخِ الّذي يكونُ بالعرضِ، وهو توبيخُ الأشهادِ لِمَن افترى على اللّه كَذِبًا، لِهتكِ سترِهِم، وللمُبالغةِ في إظهارِ فضيحتِهِم وتبكيتِهِم، فَحَصَلَ

فضيحةُ المُفترينَ عـــلى الـــلـــهِ بالإشهادِ عليهم يومَ القيامةِ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/159، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/365، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/131، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 9/256، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/53، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/33.

(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 6/112، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/196، والخفاجيّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 5/85، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/53.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/196.

لَهُم مِنَ الخِزي والنَّكالِ ما لامَزيدَ عليهِ، فكلا الفِعلَينِ ﴿يُعْرَضُونَ﴾، ﴿وَيَقُولُ﴾ مَقصودٌ بالإخبار عَنِ اسمِ الإشارَةِ[1].

دلالةُ التعبير بـ ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾:

فضحُ المُفترينَ بالجمعِ بينَ قولِ الأشهادِ وحضورِهِم

يحتملُ أن يكونَ اللّفظُ جمعًا لـ(شاهد)؛ ليكونَ مِنَ الشّهادةِ على المُفترينَ، ويحتملُ أن يكونَ جمعًا لـ(شهيد)؛ ليكونَ مِنَ الحضورِ[2]، والجمعُ بينَ المعنيين على سبيلِ الاشتراكِ سائغٌ، ولاسيَّما أنَّ فيه تكثيرًا لِلمعنى مع اقتضائِهِ لِلمَقامِ؛ ليجتمعَ قولُ الأشهادِ وحضورُهُم، فيكونَ أشدَّ فضيحةً ومَهانةً على المُفترينَ، فلا سبيلَ لَهُم إلّا الإقرارُ.

مناسبةُ التّعبيرِ باسمِ الإشارةِ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾:

إشهارُ المُفترينَ على اللهِ بالسّوءِ، وتحقيرُهُم لسوءِ مُرتَكَبِهِم

عُبِّرَ باسمِ الإشارةِ دونَ الضّميرِ لِتمييزِهِم أكملَ تمييزٍ للنّاسِ كلِّهِم بأوصافِهِمُ المذكورةِ حتَّى يَشتَهِرَ ما سَيُخبرُ بِهِ عَن حالِهِم، والمقصودُ مِن ذلكَ شُهرَتُهُم بالسّوءِ وافتِضاحُهُم، وللإشعارِ بحضورِهِم فتكونُ الإشارةُ إليهِم حسًّا أوضحَ وأبينَ، كما أنَّ في التّعبيرِ باسمِ الإشارةِ هنا تحقيرًا لَهُم، وإصغارًا بسوءِ مُرتَكَبِهِم[3].

دلالةُ مجيءِ المُسندِ والمُسندِ إليه مُعرَّفتين:

حصرُ الكاذِبينَ على اللهِ يومَ القيامةِ في الموقفِ؛ للإشهارِ بفضيحتِهِم

قولُهُ تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾، وفيه لمّا جاءُ المُسندُ إليه اسمَ إشارةٍ على معنى تمييزِهِم أكملَ تمييزٍ بما وُصِفوا به، وجاءَ المُسندُ اسمًا موصولًا أُزيلَ إبهامُهُ بصلتِهِ المعلومةِ الانتسابِ إلى مُشارٍ إليه عندَ المُخاطَبينَ دلَّ على حصرِ الكاذبينَ على اللّه يومَ القيامةِ، وجمعِهِم في الموقفِ؛ للإشهارِ بفضيحتِهِم وفعلتِهِمُ الشّنيعةِ.

---

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 11/380، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/332، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 4/13، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/33.

(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/53.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/136، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/33.

فائدةُ مجيءِ الموصولِ مع صلتِهِ:

في قولِه تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ جاءَ الاسمُ الموصولُ لِتعيينِ مَن صَدَرَ منهُ الكذبُ كأنّ وقوعَهُ أمرٌ واضحٌ غنيٌّ عنِ الشّهادةِ، ولمّا كانَت جملةُ الصّلةِ معلومةَ الانتسابِ عندَ المُخاطَبينَ أفادَ التّعبيرُ بها؛ أنَّ الحاضِرينَ يومَ العرضِ يَعرفونَهُم بكذبِهِم على ربِّهِم، فلم يُصرِّحوا بما كَذَبوا بهِ، كأنّهُ كانَ أمرًا معلومًا عندَ أهلِ ذلك المَوقِفِ، ولِهَذا لا يذكرُ الأشهادُ في أيِّ شيءٍ كانَ كذبُهُم.

الكذبُ على اللهِ أشدُّ مِنَ الكذبِ على المَخلوقينَ

سببُ إيثارِ التّعبيرِ بـ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾:

عُبِّرَ بلفظِ الرَّبِّ لِلإيذانِ بقبحِ عملِهِم وقلَّةِ عقولِهِم، إذِ افتروا على مَن يُحسِنُ إليهِم، ويَملِكُ نَواصيَهُم؛ للإشعارِ بأنَّهُم كانوا جَديرينَ أنْ لا يَكذِبوا عليهِ، وقد أحسنَ إليهِم في خلقِهِم وحياتِهِم[1].

حقُّ اللهِ وجليلُ نعمِهِ على العبادِ أن لا يُكذَبَ عليه

فائدةُ مجيءِ ﴿أَلَا﴾:

جاءَ الافتتاحُ بحرفِ التّنبيهِ ﴿أَلَا﴾ لِمُناسبةِ مَقامِ التّشهيرِ، ولمّا كانَت تفيدُ تقريرَ معنى ما يأتي بعدَها عندَ السّامعينَ، وتأكيدَهُ لعظمِ شأنِهِ، أفادَت معنى التّهويلِ العظيمِ ممّا يَحيقُ بهِم حينئذٍ لِظُلمِهِم بالكذبِ على اللهِ، ولأنَّ كُلَّ مَن يراهُم يلعنُهُم[2].

تقريرُ الهولِ العظيمِ، ممّا يصيبُ المُفترينَ مِن لعنةِ اللهِ

بلاغةُ مجيءِ الكلامِ على خلافِ مُقتضَى الظّاهرِ:

قولُهُ: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، هذا التّركيبُ إخبارٌ مِنَ اللهِ تعالى عن لعنتِهِ على الظّالمين، مُستَعمَلٌ في الدُّعاءِ خِزيًا وتحقيرًا لَهُم، ولمّا جاءَ على طريقِ الجملةِ الاسميّةِ دلَّ على ثبوتِ اللَّعنِ عليهم، فبيَّنَ أنَّهُم في الحالِ مَلعونونَ عندَ اللهِ مع ثباتِ اللّعنِ عليهم واستمرارِه، وفيه كذلكَ تعليمٌ لِلخَلقِ أنْ يَلعنوهُم، ويحتملُ أن يكونَ

المُفترونَ ملعونونَ في حالِ افترائِهِم، مع ثباتِ اللَّعنِ عليهِم واستمرارِهِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/136.

(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/131، والخفاجيّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 5/85، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3690.

من تمامِ كلامِ الأشهادِ؛ أي: يقولونَ: هؤُلاءِ الَّذينَ كَذَبوا على ربِّهِم، ويقولونَ: أَلَا لَعنَةُ اللّه على الظّالِمينَ الَّذينَ ظَلَموا أنفُسَهُم بالافتراءِ[1].

دلالةُ ﴿عَلَى﴾:

مَن استغرقَتهُمُ اللّعنةُ فَهُم مِنَ الهالِكينَ

أفادَ التّعبيرُ بحرفِ الجرِّ استغراقَ لعنةِ اللّه للظّالِمينَ، وتمكُّنَها مِنهُم.

بلاغةُ الإظهارِ في مَوضِعِ الإضمارِ:

عمومُ اللّعنةِ على كُلِّ ظالِمٍ أثيمٍ

لمّا كانَ الكلامُ على المُفترينَ على اللّه تعالى كانَ الظّاهرُ أن يقولَ: (أَلَا لعنةُ اللّه عليهِم)، فلمّا جاءَ بالاسمِ الظّاهرِ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أفادَ إثباتَ وصفِ الظّلمِ عليهِم، ولِبيانِ أنّ هذا الظّلمَ قد بَلَغَ أقصى حدودِهِ، وأنَّه هو السّببُ في بُعدِهِم عن رحمةِ اللّه تعالى، ولِيفيدَ الحكمُ معنى العمومِ؛ لِيشمَلَ كُلَّ ظالمٍ مُتَّصفٍ بالصّفاتِ المذكورةِ[2].

نكتةُ التّعبيرِ بالمُشتقِّ في: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

الافتراءُ على اللهِ نوعٌ مِن أنواعِ الظّلمِ السّاحقِ الماحِقِ

أفادَ التّعبيرُ باسمِ الفاعلِ المُشتقِّ أنَّهُم استحقُّوا اللّعنةَ بما اتَّصفوا بهِ مِنَ الظّلمِ، وعَبَّرَ بصيغةِ الجمعِ؛ للإشعارِ بأنَّهُم ظالمونَ في حالِ كونِهِم فُرادى، وفي حالِ كونِهِم مُجتمعينَ، والتَّعبيرُ عنهُم بالظّالمينَ تعريفٌ لَهُم بوَصفٍ، جَرى مَجرَى اللَّقبِ، تُعرَفُ بِهِ جَماعَتُهُم.

فائدةُ حذفِ مَفعولِ: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

المُفترونَ ظلمُوا أنفسَهُم، وظلمُوا النّاسَ، بصدِّهِم عن سبيلِ اللهِ

لم يقُل: (الظّالمينَ أنفسَهُم أو الظّالمينَ النّاسَ)؛ لِيُفيدَ عمومَ ظلمِهِم؛ أي: إنّهُم ظلموا أنفسَهُم وضرّوها إذ وَضعوا العبادةَ في غيرِ مَوضِعِها[3]، وظلموا النّاسَ بالافتراءِ عليهِم، وصدِّهِم عن سبيلِ اللّه، وطلبِهِم لها الاعوجاجَ، فيكونُ المرادُ بالظّالمينَ ما يَعُمُّ الظّالمينَ بالافتراءِ، والظّالمينَ بغيرِ ذلكَ، ويَدخُلُ فيه الأوّلونَ دُخولا أوّليًّا[4].

(1) النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 8/179، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/332، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/136، والشّوكانيّ، فتح القدير: 2/556، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/33.

(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3690.

(3) النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 8/179.

(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/231.

فائدةُ التّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ، وصلتِهِ:

الظّلمُ سببٌ في استحقاقِ لعنةِ اللهِ تعالى

قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ وفيه لمّا جاءَ الاسمُ الموصولُ وَصفًا لِمَن حَكَمَ عليهم باللّعنةِ دلَّ على أنَّ ما وصفوا بهِ مِنَ الصّدِّ والبغي المذكورين، وتكرّر هذه الأوصافِ منهُم، سببٌ لاستحقاقِهِمُ اللّعنةَ، كما أفادَتِ الصّلةُ أنَّ المُخاطَبينَ يَعلمونَ مَن هُمُ الّذين يَصدّونَ عن سبيلِ اللّه، ويَبغونها عِوجًا، وأنَّ الظّالمينَ كذلكَ يَعلمونَ أنَّ هذهِ هي أوصافُهُم؛ لِمَا تشيرُ إليهِ جملةُ الصّلةِ مِن كونِها مَعلومةَ الانتسابِ عندَ المُخاطَبينَ، وفي التّعبيرِ إيماءٌ إلى تعظيمِ قبحِ أفعالِهِم، وفيه تنبيهُ المُخاطَبينَ إلى أنَّ هذا هو طريقُ المَلعونينَ.

مجيءُ الفعلِ ﴿يَصُدُّونَ﴾ بيَن التّعديةِ واللّزومِ:

الصّادُّ عن سبيلِ اللهِ صادٌّ لِنفسِهِ ولغيرِهِ

يحتملُ أن يكونَ أصلُ الفعلِ ﴿يَصُدُّونَ﴾ مُتعدِّيًا، فإمّا أن يكونَ مِن بابِ حذفِ المفعولِ؛ لإفادةِ عمومِ صدِّهِم؛ أي: يَصدّونَ المؤمنينَ السّائرينَ في سبيلِ اللّه بردِّهِم عن سبيلِهِ، بإلقاءِ الشّبهِ وغيرِها، ويَصدّونَ غيرَ المؤمنينَ باعتراضِهِم ومنعِهِم عن سبيلِ اللّه، ولمّا جاءَ الفعلُ مِن غيرِ ذكرٍ لمصدرِهِ أفادَ عمومَ معنى الصَّدِّ؛ ليشمَلَ صدَّ نفسِهِ عن سبيلِ اللّه، وصدَّ عمومِ النّاسِ عن سبيلِهِ، بإلقاءِ الشّبهِ عليهِم؛ والمعنى: يَصدّونَ أنفسَهُم والنّاسَ مِنَ المؤمنينَ وغيرِهِم عن سبيلِ اللّه، ففي التّعبيرِ بالصّدِّ عنِ المعنيين إيجازٌ، وإمّا أن يكونَ من بابِ تضمينِ الفعلِ معنى اللّزومِ؛ بمعنى: صارَ الصّدُّ سجيّةً لَهم؛ أي: شأنُهُم هو الصَّدُّ عن سبيلِ اللّه، كما يحتملُ أن يكونَ أصلُ الفعلِ لازمًا مِنَ الصّدِّ؛ بمعنى المنعِ، والتّقديرُ: يَمتنعونَ عن سبيلِ اللّه، ويُعرِضونَ عنهُ، والوجهُ الأوّلُ أظهرُ وأكثرُ معنى[1].

توبيخُ الكافِرينَ إذا استبدَلوا سلوكَ سبيلِ اللهِ السّهلِ، بالصَّدِّ عنهُ

نكتةُ التّعبيرِ بـ ﴿سَبِيلِ﴾:

لم يقُلْ هنا طريقِ اللّه ولا صراطِ اللّه، لِما في لفظِ السَّبيلِ من

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/160، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/19.

معنى القصدِ لَمَنْ يسلكُهُ، والشّروعِ فيه معَ الرَّغبةِ في سلوكِهِ[1]، ولمّا كانَ السَّبيلُ بمعنى الطّريقِ الّذي فيه سهولةٌ[2] دلَّ النّهيُ على قبحِ ما يَفعلونَهُ مِن صدِّ مَنْ آمنَ حينَ يَقصِدُ سلوكَ سبيلِ اللّه، ويشرعُ فيهِ على سبيلِ المحبَّةِ، وفي التّعبيرِ توبيخٌ لَهُم إذ لَم يَسلكوا سبيلَ اللّه السّهلَ بل صدُّوا عنهُ.

مجازُ التّعبيرِ بـ ﴿سَبِيلِ﴾:

في التّعبيرِ بلفظِ ﴿سَبِيلِ﴾ استعارةٌ بتشبيهِ الدِّينِ بالسَّبيلِ؛ لاستقامتِهِ ووضوحِهِ وسهولتِهِ، فحَذَفَ المشبَّهَ، وصَرَّحَ بالمشبَّهِ بهِ؛ ليكونَ استعارةً تصريحيَّةً[3].

دينُ اللهِ سهلٌ واضحُ المَعالِمِ، لا تكلُّفَ فيه ولا غلوّ

مناسبةُ الإضافةِ في: ﴿سَبِيلِ ٱللَّـهِ﴾:

أفادَتِ الإضافةُ الاختصاصَ، فهُم يَصدّونَ عن سبيلِ اللّه، وليسَ عن سبيلِ الشّيطانِ، كما أفادَتِ الإضافةُ تشريفَ هذا السَّبيلِ وتعظيمَهُ، وفيها إشعارٌ بالتّحذيرِ مِنَ الصَّدِّ لإضافةِ السَّبيلِ إلى الاسمِ الجليلِ الّذي فيه معنى الألوهيّةِ.

إفادةُ الإضافةِ التّخصيصَ؛ لِتعظيمِ سبيلِ اللهِ وتشريفِهِ

مناسبةُ مجيءِ الأفعالِ بصيغةِ المضارعِ ﴿يَصُدُّونَ﴾ ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾:

أفادَتِ الصّيغتانِ تكرُّرَ فعلِ الظّالمينَ بصدِّهِم وبغيهِم سبيلَ اللّه عِوَجًا في الدّنيا، وأفادَتا أنَّهُم كانوا مُستمرِّينَ على هذين الأمرَين، ولمّا كانَ المُؤَذِّنُ بلَعنِ هؤلاءِ الظّالمينَ الّذين أُسنِدَ إليهِمُ الصَّدُّ عن سبيلِ اللّه وبَغيها عِوَجًا بصيغةِ المُضارِعِ، ووُصِفوا بالكُفرِ بالآخرةِ في الآخرةِ بعدَ أنْ زالَ الكُفرُ بها بعَينِ اليقينِ فيها، وفاتَ زمنُ الصَّدِّ عنها، وبَغيها عِوَجًا، كانَ التّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ لِتصويرِ حالةِ التَّجدُّدِ الّتي كانوا عليها في الدُّنيا، ولبيانِ ما ترتَّبَ عليها ما صاروا إليهِ في الآخرةِ، لِيَتذكَّروها هُم، وكُلُّ مَن سَمِعَ التَّأذينَ بها، ويعلَموا

تحذيرُ المؤمنينَ مِنَ الاتِّصافِ بأوصافِ الظّالِمينَ

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 298.
(2) الرّاغب، المفردات: (سبل).
(3) الخفاجيّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 5/85، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/53.

عَدلَ اللّه بِعقابِهِم عليها، ولِيَعتَبِرَ بها في الدُّنيا مَنْ يَتَصَوَّرُ حالَهُم هذه، فَكانَتِ البلاغةُ أنْ يَعدِلَ هُنا عَن صيغةِ الماضي إلى صيغةِ الحالِ حتَّى يُخَيَّلَ أنَّهُ هوَ الواقِعُ عندَ إطلاقِ الكلامِ[1].

دلالةُ الواو في: ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾:

الظّالمونَ على علمٍ باستقامةِ دينِ اللهِ، وأنّهُ الحقُّ المُبينُ

الواو هنا عاطفةٌ لجملةٍ على جملةٍ؛ لتكونَ الصّلةُ مُكوَّنةً من جملتين، فيفيدُ الكلامُ أنَّ اللَّعنةَ على مَن جَمَعَ بينَ الوصفَين، ويدلُّ التّركيبُ على أمرين: أحدهما: أنّهُم كانوا على علمٍ باستقامةِ سبيلِ اللّه، وبكَيفيَّةِ العِوَجِ بِما يلقونَهُ مِنَ الشُّبُهاتِ وتَقريرِ الضَّلالاتِ، والثّاني: الإيماءُ إلى أنَّ كلَّ سبيلٍ غيرِ سبيلِ اللّه هي عِوجٌ؛ والمعنى: يبغونَ سبيلًا غيرَ سبيلِ اللّه، وهي عِوجٌ، ليسَت مُستقيمةً[2].

نكتةُ التّعبيرِ بالفعلِ ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾:

بيانُ حرصِ الظّالِمينَ على المبالغةِ في طلبِ الزّيغِ عن سبيلِ اللهِ

عُبِّرَ بلفظِ ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾؛ لإفادةِ المبالغةِ في طلبِ زيغِ السّبيلِ، وتعدّيهِم في هذا البغي، وإفراطِهِم فيه، وأفادَ التّعبيرُ كذلك أنّهُم ظالمونَ فيهِ؛ لِحرصِهِم على طلبِ تجاوزِ الحقِّ إلى الباطلِ.

دلالةُ التعبير في: ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾:

سبيلُ اللهِ مُستقيمةٌ، وإنْ وَصَفَها الظّالمونَ بالعِوَجِ لِلتّنفيرِ عنها

يحتملُ أن يكونَ المعنى يَصِفونَها بالعِوَجِ والالتِواءِ لِلتّنفيرِ عنها، والمرادُ أنّهُم يَصفونَها بذلِكَ، وهِيَ مُستقيمةٌ، وإطلاقُ الطّلبِ على الوصفِ مَجازٌ مِن إطلاقِ السّببِ على المُسبَّبِ؛ لأنَّ مَن طَلَبَ شيئًا لآخرَ كأنَّهُ سببٌ لاتِّصافِهِ بِهِ، ويحتملُ أن يكونَ المعنى يُريدونَ أهلَ سبيلِ اللّه أنْ يَعوَجُّوا عنها، أو يُريدونَ أنْ تكونَ عَوجاءَ بموافَقَتِها لأهوائِهِم مِنَ الشّركِ، وإباحةِ الظُّلمِ والفِسقِ[3].

(1) رضا، تفسير المنار: 8/383.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 6/113، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/332.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/386، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/131، والخفاجيّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 5/85، ورشيد رضا، تفسير المنار: 12/48.

مناسبةُ عودِ الضّميرِ في: ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾:

ثباتُ استقامةِ سبيلِ اللهِ، وإنْ بالغَ الكافرونَ في محاولةِ زيغِها

يعودُ الضَّميرُ إلى ﴿سَبِيلِ﴾، ولمّا كانَ السَّبيلُ مُضافًا إلى اللّه تعالى دلَّ على أنّهُم لن يَستطيعوا زيغَها، وإنْ بَالغوا في الطَّلبِ؛ لثباتِ السّبيلِ واستقامتِها؛ لأنّها سبيلُ اللّه.

براعةُ التّعبيرِ بيَن الحقيقةِ والمجازِ:

طريقُ الحقِّ لا يعوجُّ، ولا يحيدُ عنِ الهدى والخيرِ

يحتملُ قولُهُ تعالى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أنْ يكونَ على الظّاهرِ بمعنى يَطلبونَ الزَّيغَ والضَّلالَ لَمَنْ يَطلبُ الإيمانَ، بإلقاءِ الشُّبَهِ على المؤمنينَ، أو وصفِها للنّاسِ بأنَّها مُعوَجَّةٌ، ويحتملُ أن يكونَ على سبيلِ المجازِ تَهكُّمًا بهِم؛ أي: إنَّهُم يَطلبونَ لسبيلِ اللّه ما هو محالٌ؛ لأنّ طريقَ الحقِّ لا يَعوَجُّ[1].

دلالةُ الواوِ ﴿وَهُم﴾:

التّعجيبُ مِن حالِ مَن هو على الباطلِ، ويصدُّ النّاسَ عنِ الحقِّ

قولُهُ: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾، الواو هنا حاليَّةٌ، بمعنى: والحالُ أنَّهُم كافرونَ بالآخرةِ، ولمّا كانَ الحالُ على معنى اقترانِهِ بصاحبِهِ دلَّ على أنَّهُم كافرونَ بالآخرةِ في حالِ صدِّهِم عن سبيلِ اللّه وبغيِهم لها عِوَجًا؛ ليفيدَ الحالُ التّعجيبَ مِن حالِهِم؛ أي: كيفَ يَصُدّونَ النّاسَ عن طريقِ الحقِّ، وهُم على الباطلِ البَحتِ، كما أنَّ في الحالِ معنى العلّيَّةِ، وبيانِ السّببِ في إمعانِهم في الكفرِ؛ والمعنى: كفرُهُم بالآخرةِ جعلَهُم يَفترونَ على اللّه الكذبَ، ولا يؤمنونَ إلّا بالدّنيا وزينتِها، وظنّوا أنَّها وحدَها هي الحياةُ؛ ممّا أدّى بهِم إلى هذا الغباءِ، وهذه اللّجاجةِ فيهِ، وفي الحالِ كذلك زيادةٌ في التّوبيخِ والتّبكيتِ، إذِ اتّصفوا بالكفرِ بالآخرةِ بعدَ كفرِهِم باللّه وبكتابِهِ[2].

---

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/128، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/315، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/23.

(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/131، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/53، والشّوكانيّ، فتح القدير: 2/557، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/23961.

دلالةُ الجملةِ الاسميّةِ:

الظّالمونَ المفترونَ على اللهِ كافرونَ في ضمائرِهم وظواهرِهم

قولُهُ: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾، لمّا كانَ النَّظرُ شديدًا إلى بيانِ كذبِهم وتكذيبِهم، بُولِغَ في تأكيدِ المعنى، فجاءَ المبتدأُ ﴿هُمۡ﴾ مُخبَرًا عنه بجملةٍ اسميّةٍ ﴿هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾، وعَبَّرَ بالضّميرِ ﴿هُمۡ﴾؛ للإيذانِ بأنَّ الإخبارَ هو عنِ المذكورينَ بصفاتِهم المَعلومينَ في أذهانِ السّامعينَ، وللإشعارِ بأنَّهُم بضمائرِهم وظواهرِهم بالآخرةِ هُم كافرون[1].

سببُ المخالَفةِ في التّعبيرِ بيَن الاسميّةِ والفعليّةِ:

مُناسبةُ التّعبيرِ بالصّيغةِ الموافِقةِ لِلمعنى

في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ عُبِّرَ بالجملةِ الاسميّةِ، وفي قولِهِ: ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ عُبِّرَ بصيغةِ الفعلِ، ومُناسبتُهُ أنَّه لمّا كانَ الكفرُ مِنَ الاعتقاداتِ العقليَّةِ الَّتي لا يُناسِبُها التَّكرُّرُ؛ لأنَّه مِنَ الانفعالاتِ، وليسَ مِنَ الأفعالِ، عُبِّرَ بالجملةِ الاسميّةِ؛ لإفادةِ ثباتِ الكفرِ فيهم، وتمكُّنِهِ منهُم، ولمّا كانَ الصَّدُّ وبغيُ إظهارِ العوجِ مِنَ الأفعالِ القابلةِ للتّكريرِ عُبِّرَ بصيغةِ الفعلِ، فناسبَ كلٌّ معناهُ وصيغتُهُ[2].

سببُ تقديمِ شبهِ الجملةِ ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾:

حسنُ النّظمِ ودقّةُ المعنى مِن بديعِ نسجِ القرآنِ

لمّا كانَ تكذيبُهُم بالآخرةِ شديدًا، وأرادَ أن يُؤكِّدَ المعنى، ويكونَ لهم اختصاصٌ بمزيدِ كفرٍ، قَدَّمَ قولَهُ ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ على مُتعلَّقِهِ، ولايحسنُ مجيئُهُ على أصلِ الكلامِ بأنْ يُقالَ: (وهُم هم كافرونَ بالآخرة)، فلمّا تقدَّمَ الجارُّ والمجرورُ حَسُنَ النّظمُ وقَوِيَ المعنى.

سببُ تكرارِ ﴿هُمۡ﴾:

كفرُ المُفترينَ على اللهِ بالآخرةِ أعظمُ أنواعِ الكفرِ وأشدُّهُ

تكرَّرَت ﴿هُمۡ﴾ على جهةِ تأكيدِ تعيينِ أنَّهُم هُمُ الكافرونَ بالآخرةِ، واختصاصهم بهِ، على معنى الاختصاصِ الادّعائيِّ حتَّى كأنَّ كُفرَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/256.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/140.

غيرِهم غَيرُ مُعتَدٍّ بِهِ بالنِّسبةِ إلى عظيمِ كُفرِهم، فيكونُ الكلامُ على معنى الاختصاصِ الادِّعائيِّ مبالغةً في كفرِهم بالآخرةِ، فكأنَّ كُفرَ غيرِهم بها ليسَ بكُفرٍ في جنبِهِ[1].

فائدةُ مجيءِ اسمِ الفاعلِ: ﴿كَٰفِرُونَ﴾:

عـــراقـــةُ كـفـرِ المُترينَ الظّالمينَ

لمّا أخبرَ عنهُم بأنَّهُم كافرونَ بصيغةِ المُشتقِّ أفادَ أنّهُم عريقونَ في وصفِ الكُفرِ، حتّى صارَ صفةً مِن صِفاتِهم، فَقَد كفروا بالآخرةِ فيما مَضَى في الحياةِ الدّنيا، فلا يخافونَ عِقابًا على إجرامِهم، فيَتوبوا مِنهُ[2].

سببُ إيثارِ الإخبارِ بالجملةِ عنِ الضّميرِ ﴿هُمْ﴾:

أفادَ الإخبارُ بالجملةِ الاسميّةِ ﴿بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ تقوِّيَ الحكمِ وتقريرَهُ، فمَن كَفَرَ بالآخرةِ خَسرَ الدّنيا والآخرةَ.

توجيهُ المُتشابِهِ اللّفظيِّ بين آيتي: سورة هود، والأعراف:

زيادةُ (هم) هنا، يُـنـاسِـبُ مَـقـامَ إنكارِهِمُ البَعثَ وتَقريرِهِ

اختُصَّتْ هذهِ الآيةُ على نظيرِها في الأعرافِ بزيادَةِ ﴿هُمْ﴾ في قولِهِ: ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾، وهوَ توكيدٌ يُفيدُ تَقوِّيَ الحُكمِ؛ لأنَّ المَقامَ هُنا مَقامُ تَسجيلِ إنكارِهِمُ البَعثَ وتَقريرِهِ؛ إشعارًا بما يَتَرَقَّبُهُم مِنَ العِقابِ المُناسِبِ، فَحُكِيَ بِهِ مِن كلامِ الأشهادِ ما يُناسِبُ هذا، وما في سورَةِ الأعرافِ في قولِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأعراف: 45] حكايَةٌ لِما قِيلَ في شأنِ قَومٍ أُدخِلوا النّارَ، وظَهَرَ عِقابُهُم فلا غَرَضَ لِحِكايةِ ما فيهِ تأكيدٌ مِن كلامِ الأشهادِ، وكلتا المَقالَتَينِ واقِعٌ، وإنَّما يَحكي البَليغُ فيما يَحكيهِ ما لَهُ مُناسبةٌ لِمَقامِ الحِكايَةِ[3].

وأيضًا لمّا تقدَّمَ قولُهُ تعالى في سورةِ هود: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ

(1) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/54، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/386، والشّوكانيّ، فتح القدير: 2/557.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/256، ورشيد رضا، تفسير المنار: 8/382.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/33.

عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولَم يقُلْ: (عَلَيهِم)، كما هو الظّاهرُ بأنْ يذكرَ الضّميرَ لقربِ الاسمِ الظّاهرِ، وقد تبيَّنَ سببُ العدولِ إلى الاسمِ الظّاهرِ، فلمّا جاءَ بالاسمِ الظّاهرِ احتملَ الكلامُ اللَّبسَ، بأنّهُم هُم أم غَيرهم، فكرَّرَ، وقالَ: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾؛ لِيعلمَ أنّهُم هُمُ المذكورونَ لا غيرُهُم[1].

(1) الكرمانيّ، أسرار التّكرار، ص: 119.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»